



جامعة مؤتة



وزارة التعليم العالي  
والبحث العلمي

المجلة الأردنية في  
**اللغة العربية وأدابها**  
مجلة علمية عالمية محكمة

المجلد (٦) العدد (١) محرم ١٤٣١ هـ / كانون الثاني ٢٠١٠ م

رقم التصنيف: ١

الرقم المتسارع

١٨



النواود في اللغة العربية

د. أحمد عطيه السعدي

السيد عزمي عيال سلمان \*

تاريخ القبول: ٢٠٠٩/٦/١

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٩/١/١٢

### ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بحث ظاهرة النواود في اللغة العربية، ومعرفة مدى التوافق في ندرة الألفاظ اللغوية بين التأثير اللغوي والأداء الاستعمالي، وقد تناولت الدراسة: مصطلح (النواود) وما يرافقه من مصطلحات أخرى في الدرس اللغوي القييم، وتناولت أيضاً التأليف في ظاهرة النواود لدى علماء العربية القدماء، وموضوعات كتب النواود، وأهمية كتب النواود، ومعايير الندرة عند علماء العربية القدماء، ونظريات تفسير ظاهرة النواود في اللغة العربية، والألفاظ النادرة بين الهجران وإعادة الاستعمال، وظاهرة النواود والنُّوق الفني، متخدِّين في ذلك المنهج الوصفي التفسيري أداة للبحث والمناقشة.

الكلمات الدالة (النواود، الغريب، التأثير اللغوي، الأداء الاستعمالي).

### Abstract

### The Rare Linguistic patterns in in the Arabic language

This study aims to examine the "rare linguistic patterns" phenomenon in the Arabic language. It also explores the degree of agreement in these patterns in terms of theory and practice. The study addresses the term "rare linguistic patterns" and its relevant synonyms in classical practice. It also addresses the classical publications and the importance of rare linguistic forms books. The study pays attention to the theories that explain rare linguistic forms, the relation between these forms and artistic appreciation, and the terms between use and abandonment. The study uses the descriptive approach as a tool of research and discussion.

\* وزارة التربية والتعليم، الأردن.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

## مقدمة

تأتي أهمية هذا البحث من أنه يحاول الوقوف على ظاهرة من الظواهر اللغوية الغامضة في الدّرس اللغوي العربي، تلك هي: (ظاهرة النواير في اللغة)، حيث تغيب الملامح الدقيقة لدى علماء اللغة القدماء في تناولها، وتتضارب الأنماط اللغوية التي يدرجونها تحتها بين أنماط فصيحة، وغربيّة، وشاذة، ووحشية، ووحشية، وغامضة، ومشكّلة، ومهجورة، ونادرة، ونافر.....الخ.

ويتقاول علماء اللغة في استخدامهم كلمة (النواير)، فمنهم من يستخدم هذه الكلمة بمعناها اللغوي، فترد عنده بمعنى: (القلة)<sup>(١)</sup>، وقد تأتي عند بعضهم بمعنى: (الفوائد)<sup>(٢)</sup>، ويستخدمها بعض علماء اللغة على أنها مصطلح يطلق على الأنماط المخالفة للفصيح الجيد<sup>(٣)</sup>.

وقد حاول الباحثان جاهدين أن يقعا على دراسات لغوية تتناول هذه الظاهرة، فلم يجدا بحثاً واحداً يتناولها بالدرس والتحليل بشكل موسّع وفق المناهج اللغوية الحديثة، وكل من تطرق إلى هذه الظاهرة يقتصر على التأريخ لها بنك العلامة الذين ألقوا فيها من القرن الثاني الهجري وحتى القرن السادس، ومن هؤلاء الباحثين: حسين نصار في كتابه (المعجم العربي)، وعزّة حسن في مقدمة تحقيقه (كتاب النواير) لأبي مسحيل، وقد تأثر به ونقل عنه محمد عبد القادر أحمد في مقدمة تحقيقه كتاب (النواير في اللغة) لأبي زيد، وكذلك رمضان عبد التواب في كتابه (فصل في فقه العربية)<sup>(٤)</sup>.

ويختصّ هادي نهر في كتابه: (اللسانيات الاجتماعية عند العرب) فقرة واحدة للحديث عن كتب النواير، ويرى أنها كتب تبحث في الألفاظ العربية التي لم يُشك في أصلها العربي، ولكنها لم تجرِ كثيراً على الألسنة العرب آنذاك، أو أنها تدوّن الألفاظ الغربية من لغات القبائل<sup>(٥)</sup>.

وللباحث حسن محمد تقى سعيد دراسة بعنوان: (ظاهرة النواير في اللغة بحث في الماهية) يتناول فيها تعريف (النواير) لدى علماء العربية القدماء، وقد جاءت هذه الدراسة مقتضبة في ثلاثة صفحات، ولم يضف الباحث إلى ما قاله عزّة حسن ومحمد عبد القادر أحمد إلا قياداً واحداً يتعلق بتركيب بنية الكلمة، ف تكون النواير عنده هي تلك الكلمة التي يقل وجود مثيلها في اللغة لتركيب خاصٍ في بنيتها. سواء خالفت القياس، وهو الأكثر، أم جاءت وفقه، سواء قل استعمالها في اللغة، وهو الغالب أم لا. وسواء كانت تحمل دلالة غامضة أم واضحة<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، (ت: ٦٤٣هـ). شرح المفصل، تحقيق: إميل بديع بعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٢) انظر: ابن السكري، يعقوب بن إسحق (ت: ٢٤٤هـ): إصلاح المنطق، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢٨١. فقد خصص ابن السكري في كتابه إصلاح المنطق بباباً كاملاً بعنوان: (نواير)، ولم يورد تحته إلا الأنماط الفصيحة، ولعل أقرب المعنى إلى هذا الاستعمال هو: الفوائد أو الفرائد.

(٣) انظر: السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (ت: ٩١١هـ): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البخاري، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجبل، بيروت، ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) انظر: عبد التواب، رمضان: فصول في فقه العربية، مكتبة الخاجي، القاهرة، ط٦، ١٩٩٩م، ص ٢٥٢.

(٥) انظر: نهر، هادي: اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٩٤.

(٦) انظر: سعيد، حسن محمد تقى: ظاهرة النواير في اللغة بحث في الماهية، اللسان العربي، العدد: ٣٢، سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٩ - ٣١.

والباحثان يريان أنَّ هذا القيد الذي يضيفه حسن محمد نقى سعيد لا يصدق إلا على أمثلة قليلة جداً في اللغة العربية ذلك أنَّ معظم الألفاظ التي يقلُّ وجود مثيلها في اللغة لتركيب خاصٍ في بنيتها هي لفاظٌ دخلة، والأقرب إلى المنهج السليم في دراسة اللغة العربية أنْ يقتصر في دراسة ظاهرة التوادر على الألفاظ العربية الصميمية، ويجب ألا تدرج الألفاظ الأعجمية ضمن هذه الظاهرة حتى لا تغيب عن الملامح الدقيقة للدرس اللغوي العربي.

### ١. بين يدي المصطلح

يُعدُّ مصطلح (التوادر) من المصطلحات التي اكتنفها الغموض والإبهام في الدراسات العربية القديمة؛ ذلك أنه جاء في هذه الدراسات للدلالة على ظواهر متعددة، واستخدم في حقول متباينة، فتارة تراه في العقول الأدبية بمعنى: الأخبار والملاح والمحاورات<sup>(١)</sup>، وتارة تراه في الحقول اللغوية بمعنى: الغريب الحوشى<sup>(٢)</sup>، فلم يكن بذلك من المصطلحات المستقرة فيتراث اللغة العربية.

و(التوادر) في اللغة جمع: (نادر) أو (نادرة). قال في اللسان: "نَدَرَ الشَّيْءُ يَنْدَرُ نَدُورًا: سَقَطَ وشَدَّ...، وَنَدَرَهُ غَيْرُهُ أَيْ أَسْقَطَهُ....، وَيَقُولُ: نَدَرَ الرَّجُلُ إِذَا مَاتَ".<sup>(٣)</sup> فمادة (ندر) تأتي بمعنى: سقط، وشد، ومات، ولعل اصطلاحهم بـ(التوادر) على الاستعمالات اللغوية المهجورة والأصول المماثلة، مأخذٌ من الدلالة اللغوية المرتبطة بكلمة (ندر).

و(النادر) في الاصطلاح تعبير لغوي يرد في كتب اللغة ومعجماتها كثيراً، قال ابن منظور (٧١١ هـ): "ونوادر الكلام تندر، وهي ما شد وخرج من الجمهور"<sup>(٤)</sup>، فهو خلاف الفصيح المشهور. ويرى علي بن محمد الجرجاني (٨١٦ هـ) أن (النادر) هو: "ما قل وجوده، وإن لم يخالف القياس"<sup>(٥)</sup>، فهو عنده بمعنى: القلة.

وينقل السيوطي (٩١١ هـ) عن ابن هشام (٧٦١ هـ) قاعدة في معنى (النادر) تبين مدى القلة التي يدل عليها هذا المصطلح، فيقول قال ابن هشام: أعلم أنهم يستعملون غالباً، وكثيراً، ونادرأ، وقليلاً، ومطرداً. فالمطرد لا يختلف، والغالب أكثر الأشياء، ولكنه يختلف، والكثير دونه. والقليل دون الكثير. والنادر أقل من القليل. فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالباً، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب. والثلاثة قليل. الواحد نادر. فعرف بهذا مراتب ما يقال فيه ذلك<sup>(٦)</sup>، وعلى هذا يتبيّن أن (النادر) مصطلح موروث يدل على أقل مراتب الفصاحة.

ومن المصطلحات التي تقارب (النادر) في الدلالة، ولكنها أقل استعمالاً لدى الدارسين مصطلح (العقمي) أو (العقبى)، قال ابن منظور: "كلام عقمي": قديم قد درس، عن ثعلب. والعقمي من الكلام: غريب الغريب، والعقمي: كلام عقيم لا ينسق منه فعل، ويقال: إنه لعلم بعقمي الكلام، وعقبى الكلام، وهو غامض الكلام الذي لا يعرفه

(١) انظر: الجاحظ: عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥ هـ): *البلاء*، حق نصه وعلق عليه: طه الحاجري، ط٨، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص١، ص٥، ص٧.

(٢) انظر: السيوطي: *المزهر*، ج١، ص٢٣٣.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١ هـ): *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠ م، مادة: (ندر)، ج٤، ص٢٢٣.

(٤) المصدر نفسه، مادة (ندر)، ج٤، ص٢٢٣.

(٥) الجرجاني، علي بن محمد (ت: ٨١٦ هـ): *التعريفات*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥ م، ص٢٣٩.

(٦) السيوطي: *المزهر*، ج١، ص٢٤.

الناس، وهو مثل النواذر. قال أبو عمرو: سالت رجلاً من هذيل عن حرف غريب، فقال: هذا كلام عقبي، يعني أنه من كلام الجاهلية لا يُعرف اليوم، وقيل عقبي الكلام أي قديم الكلام. وكلام عقبي، وعقبي أي: غامض<sup>(١)</sup>.

ومن المصطلحات الأخرى التي تقارب مصطلح (النواذر) في الاستعمال مُصنطاح (ند). يقال: نَدَ البعير يَنْدَ نَدواداً إذا شرداً....، وندت الكلمة شدت، وليس بقوية في الاستعمال، إلا ترى أن سيبويه (١٨٠هـ) يقول: شَدَّ هَذَا وَلَا يَقُولْ نَدَ<sup>(٢)</sup>، وقال المَجَد الفيروزابادي (٨١٧هـ) في مقدمته: "ولما رأيت إقبال الناس على صاحب الجوهرى، وهو جبار بذلك، غير أنه فاتة نصف اللغة، أو أكثر؛ إما بإهمال المادة، أو بترك المعانى الغربية النادرة"<sup>(٣)</sup>.

وبناء على هذين التصينين يتبعين أن مُصنطاح (ند) يأتي بمعنى: (شد)، و(شد)، ويدل أيضًا على المعانى الغربية، وهو بهذا يوافق مصطلح (ند) في الدلالة، فقد نص السيوطي (٩١١هـ) في المزهر على أن (الحوشى، أو الوحشى)، و(الغرائب)، و(الشواذ)، و(الشوارد)، و(النواذر) ألفاظ متقاربة، وكلها خلاف الفصيح<sup>(٤)</sup>.

وقول ابن منظور (٦٧١هـ) بأن (ند) ليست قوية في الاستعمال بالنسبة إلى (شد)، لأن سيبويه لم يستعملها، لا يستقيم، بل لعل كلمة (ند) أصل لكلمة (ند)، فليثروا تشديد الدال وجعلوا إحدى الدالين راء، وفقاً لقولون (المخالفة الصوتية) كما هو الشأن في (قراط، وقراط)، و(دينار، ودينار).

وبناء على ما سبق يتبعين أن مُصنطاح (النواذر) قريب في الاستعمال والمعنى من (الحوشى، أو الوحشى)، و(الغرائب)، و(الشواذ)، و(الشوارد)، و(العقبي)، أو (العقبي)، و(الناد)، إلا أن (النواذر) بمعناه العام يشمل هذه المصطلحات جميعاً، على الرغم من أنه بمعناه الخاص أقرب هذه الألفاظ من الفصيح.

## ٢. ظاهرة التأليف في النواذر

بدأ التأليف في نواذر اللغة وغرايئها في أواسط القرن الثاني من الهجرة، أي في الوقت الذي نهض فيه رواة اللغة وعلماؤها لتتوين اللغة العربية، ونشطوا لجمعها في الكتب، وعلى هذا يمكن أن يعد تدوين النواذر وتأليف الكتب فيها جزءاً من الحركة الواسعة الخصبة التي شملت تدوين اللغة في هذا الدور<sup>(٥)</sup>.

وقد ظهر هذا الصنف من التأليف مبكراً، فأول من ينسب إليه كتاب فيه هو أبو عمرو بن العلاء (١٥٧هـ)، ثم تتابع التأليف في النواذر، فظهرت في أواخر القرن الثاني كتب لفراء المدي (١٢٥هـ)، والقاسم بن معن (١٧٥هـ)، ويونس بن حبيب (١٨٢هـ)، ومعاصره أبي مالك عمرو بن كركة ، والكسائي (١٨٩هـ)، وأبي شبل العقيلي (١٩٣هـ)، ولا ندرى شيئاً عن هذه الباكرة اللغوئية.

وزخر القرن الثالث بكتب النواذر، حتى شهد أكثر من عشرين منها، فقد ألف فيها يحيى البزري (٢٠٢هـ)، وقطرب (٢٠٦هـ)، وأبو عمرو الشيباني (٢٠٦هـ)، والفراء (٢٠٧هـ)، وأبو عبيدة (٢١٠هـ)، والأصمuni

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: (عقم)، ج ١٠، ص ٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه، مادة: (ند)، ج ١٤، ص ٢٢٢.

(٣) الفيروزابادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ): القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، ج ١، ص ١٧.

(٤) انظر: السيوطي: المزهر، ج ١، ص ٢٢٣ – ٢٢٩.

(٥) انظر: أبو ميسنل، عبد الوهاب بن حريش (ت: ٢٤٠هـ): كتاب النواذر، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م، ج ١، ص ٢٤.

(٢١٣ هـ)، وأبو زيد (٢١٥ هـ)، والأخفش (٢١٥)، وأبو مسحيل الأعرابي (٢٤٠ هـ)، وابن الأعرابي (٢٣١ هـ)، والتوزي (٢٣٣ هـ)، وابن السكّيت (٢٤٦ هـ)، وابن قتيبة (٢٧٦ هـ)، وثعلب (٢٩١ هـ)... الخ.

نم بدأ التأليف في النوادر يقل شيئاً فشيئاً منذ أواسط القرن الثالث من الهجرة، حتى إذا أطل القرن الرابع ضعف شأن التأليف في النوادر كثيراً، وقد قلَّ من علماء هذا القرن من ألف فيها، ومن هؤلاء: الزجاج (٣١٠ هـ)، وابن دريد (٣٢١ هـ)، وأبو عمرو الزاهد (٣٤٥ هـ)، وأبو علي القالي (٣٥٦ هـ)، وعلي بن حمزة البصري (٣٧٥ هـ)، والديمرتي (٣٧٢ هـ)، وأبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ). وله في النوادر بعد ذلك أبو البركات الأباري (٥٧٧ هـ)، والحسن بن محمد الصغاني (٦٥٠ هـ)، ولم يصل إلينا إلا كتاب ثانهما، واسمته (الشوارد في اللغات).

وقد كثُرَ التأليف في النوادر، إلى درجة أنها لا نجد لغويَاً في ذلك العصر المبكر، إلا وله في النوادر كتاب أو أكثر، وقد بقي لنا من هذه الكتب كتاب أبي زيد، وهو أقدم كتاب من هذا النوع باق عندها، وينقسم الكتاب إلى خمسة عشر باباً، ثلاثة منها خاصة بالشعر، وبسبعين بارجواز، وخمسة بالنوادر، وكتاب النوادر لأبي مسحيل الأعرابي عبد الوهاب بن حريش، توفي في أواخر القرن الثالث الهجري، وهو تلميذ الكسائي، وكتابه كبير في جزأين، نشره عزة حسن في دمشق سنة ١٩٦١ م، وكتاب النوادر، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي (٣٥٦ هـ)، وهو كتاب في النوادر الأدبية لا اللغوية، فهو كتاب أدب وأخبار، ومحاورات أكثر منه كتاب لغة.

ولم تتطور هذه الكتب في منهجها، بل بقيت متمسكة بالصورة التي ظهرت عليها للمرة الأولى، وإنما كان تطورها في موادها بالكثرة والتضخم. وتعطينا هذه الكتب الخطوة الأولى في سبيل المعاجم، حتى أن هذه تأثرت كثيراً بمنهجها في داخل المواد فلم تحاول ترتيب الألفاظ فيها، وسارت في علاج الأفعال والأسماء على نمطها بنظر الماضي والمضارع والمصدر والصفة منها مرة وإغفالها أخرى، وذكر المفرد والجمع من الأسماء آونة وإغفالها كثيراً.<sup>(١)</sup>

### ٣. موضوعات كتب النوادر

تنقسم كتب النوادر بأنها لا نظام لها ولا ترتيب، وإنما ترد الألفاظ فيها وفقاً لتوارد الخواطر، ولذلك نرى بعض الألفاظ التي تتصل بموضوع واحد مجتمعة أحياناً، ونرى بعد ذلك مجموعة من الألفاظ التي لا يمْتُّ بعضها إلى بعض بصلة.

والمادة اللغوية الواردة في كتب النوادر تمثل لهجات البايدية المشهورة والمغمورة في الجاهلية وصدر الإسلام في ألفاظها وعباراتها وأمثالها وأساليبها تمثيلاً جيداً. وليس كل الألفاظ الواردة في كتب النوادر نادرة أو غريبة كما تُوهم عنواناتها، فهي تُورِّد النادر الشاذ من اللغة إلى جانب الفصيح المشهور منها، وكثير من الألفاظ التي وردت فيها لا يمكن أن تُعد من نوادر اللغة وغريبها، بل تكاد تكون من أوضح الفصيح، وتشهد بذلك كتب النوادر نفسها.

وقد ألفت كتب في الفصيح والجيد من اللغة في الوقت نفسه الذي ألفت فيه كتب النوادر والغريب، مثل كتاب (الفصيح) لثعلب، وكتاب (إصلاح المنطق) لابن السكّيت، وعند الموازنَة بين هذه الكتب لا نجد فرقاً كبيراً بين هذين النوعين من كتب اللغة على الرغم من اختلاف الغاية التي رمى إليها الرواة والعلماء في تدوينهم مثل هذه الكتب.

(١) انظر: نصار، حسين: المعجم العربي، نشأته وتطوره، ط٤، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٨، ج١، ص١٠٩ - ١١٨.

ومن الغريب أن نجد عند التحري والتدقيق أنَّ كتب النواود تفيس بالفصيح من ألفاظ اللغة، وأنَّ كتب الفصيح مطوية على كثير من نواود اللغة وغرايتها أيضاً<sup>(١)</sup>.

وكتب النواود مليئة بمقاطعات الشعر، والأراجيز النادرة، ومن أمثلته: "أبو زيد: يقال: جمل ناهل في جمال نهال، وناقة ناهلة في نوق نهال ونواهل، وهي العيطاش. وقال الراجز:  
إِنَّ لَنْ تُتَشَّنَّ النَّهَالَا بِمَثَلْ أَنْ تُذَارِكَ السَّجَالَا

يقال: ثائِر الرَّجُلَ عَنِي أَيْ احْسَهَ عَنِي. والثَّانِي: الْحَبْس. وَالنَّوَاهِلُ مِنَ الْإِبلِ وَغَيْرُهَا مِنَ الْمَوَاشِي: الْرَّوَاءِ  
اللَّاتِي قَدْ نَهَلَنَّ نَهَلَّا، أَيْ رَوَيْنَ رَيَّنَ<sup>(٢)</sup>".

ولعلَّ استعراضَ مادة بعض كتب النواود التي وصلت إلينا كاملة، كما هو الشأن في كتابي أبي زيد وأبي مسخل، أو تلك التي لم يصل إلَيْنا إلا نصوص مقطعة متاثرة هنا وهناك في كتب اللغة المتنوعة، يوقفنا على بعض تلك الموضوعات التي عالجها هذا النوع من المصنفات، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ مادة كتب النواود المتنوعة تكاد تكون متشابهة.

وقد أورَدَ السيوطي في المزهر فقرات قصيرة قليلة من كتاب النواود ليونس بن حبيب تدل على أنه كان كثيراً الرواية فيه عن أبي عمرو بن العلاء، ويوازن بين لغتي الحجاز وتميم<sup>(٣)</sup>، وأورد السيوطي في المزهر أيضاً اقتباسات عده من نواود اليزيدي تدل على أنه عنى عناية شديدة باللهجات، وخاصة لهجة الحجاز وتميم، وكان يرجح بين هذه اللهجات أحياناً، وعنِي أيضاً بالتغييرات الخاصة وبالألفاظ المشابهة التي يخطئ الناس في استعمالها (المشكك)، وبالمضاف والمصادر التي لا مثيل لها<sup>(٤)</sup>.

وتنبع مقتبسات المزهر من كتاب النواود لأبي عمرو الشيباني أنه عنى بالألفاظ التي يبدل بعض حروفها، وشواذ التصغير، وغريب الأعلام، والجموع التي لا واحد لها، والألفاظ المتباينة التي قد يحدث فيها تصحيف<sup>(٥)</sup>.  
أما نواود أبي زيد فقد تناول فيها ألفاظاً وتعبيرات واستعمالات غريبة لا تجري على القواعد المعروفة، ولا على اللغة الواضحة الشائعة الاستعمال، والألفاظ المشابهة المشككة، والتفت إلى بعض المترادفات، وإلى ما في شواهد من عروض ونحو وغيره.

أما نواود ابن الأعرابي فتدل مقتبسات السيوطي على أنه التفت إلى الأضداد، والأفعال اللازمة والمتعددة، والتعبيرات الخاصة، والإدالات في اللغات، والأبنية القليلة، والأعلام الغربية، والصفات التي لا تجمع، وبعض الأخبار<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: أبو مستحل: كتاب النواود (مقدمة محقق الكتاب)، ج ١، ص ٢٣.

(٢) أبو زيد، سعيد بن أوس الأنصاري (ت: ٢١٥ مـ): كتاب النواود في اللغة، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ١٩٨١ مـ، ص ٥٠١.

(٣) انظر: السيوطي: المزهر، ج ١، ص ٤٥٣ / ج ٢، ص ٢٧٥، ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٥، ٢٢٤، ٢٢٤، ٥٢٢، ٢٩٠، ٢٩٧، ٢٠١ / ج ٢، ص ٥٢٢، ٢٢٤، ٢٢٤، ٢١٥.

(٥) السيوطي: المزهر، ج ١، ص ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٤٩، ٤٣٩، ٣٩٤، ٣٩٤، ٢٢٧، ٢٢٧، ٩٤، ٩٤، ٥٤٨، ٥٤٨، ٥٢٧، ٥٢٧، ٥٠٥، ٥٠٥، ٥٧٦ / ج ٢، ص ٢٩٠، ٢٩٠، ٣٠٤، ٣٠٤.

وممّا سبق يتبيّن أنَّ الموضوعات التي تطرّقت لها كتب النُّوادر متّوّعة وكثيرة لدرجة يصعب معها حصر المادة الواردة فيها أو تقسيمها، فالمنهجية في التطرق إلى الموضوعات ومعالجتها، وترتيب الأفاظ تكاد تغيب عن هذا النوع من المصنفات.

#### ٤. أهمية كتب النُّوادر

تُعّين كتب النُّوادر على رصد اتجاهات التطور اللُّغوِي على المستويات اللُّغوِيَّة كافة، وهي مصدر مهم لدراسة اللهجات؛ إذ يوجد فيها مادة خصبة لهذه الدراسة، فهي كثيراً ما تعزو اللهجات إلى أصحابها، فإذا فقدنا هذا العزو وجذبنا في تحديدها لقبيلة الشاعر حيث يقول أبو زيد مثلاً: (قال فلان من تميم أو فلان الهنلي، أو راجز من حمير... إلخ)، ومن أمثلة اللهجات في نوادر أبي زيد: "أشدّتني أعرابية من بني كلاب:  
فتعلمنَ وإنْ هَوَيْتُكَ عَنِّي قَطَاعُ أَرْمَامِ الْحِيَالِ صَرُومُ  
فقلت لها ما هذا؟ فقالت هذه عَنَّتَا، وبعضهم يقول: عننة فلان<sup>(١)</sup>.

وفي نوادر أبي مسفل قال: "يقال: أزبروا بذركم، يعني اكتسواها من الحمأة، وذكر أن الزبير الحمأة في لغة بني أسد. وقال أيمن بن خريم الأسيدي:

وقد جَرَبَ النَّاسُ آلَ الزَّبِيرِ فَلَاقُوا مِنْ آلِ الزَّبِيرِ الزَّبِيرَا

يعني الحمأة، وزَبَرَتُ البَرَّ في غير هذه اللغة: طَوَيْتُه<sup>(٢)</sup> بالحجارة. يقال: بَئْرٌ مَزَبُورَة، يعني مَطْوِيَّة<sup>(٣)</sup>.  
والناظر في كتب النُّوادر يجد أن الأفاظ النادرة الواردة فيها ما هي إلا أنماط استعمالية للهجات قبائل متعددة، وقد تكون هذه القبائل المشهورة التي أخذت عنها اللغة نحو: تميم، وأسد، وكلاب، وعقيل، وقيس، وهذيل، وطبيء... إلخ.

ويغلب على هذه الأنماط النادرة أن تكون استعمالات خاصة تصدر عن أفراد لهم ولوغ بالآفاظ القيمة التي كانت تصدر عن الأجيال السابقة، كما هو مشاهد اليوم في اللهجات الدارجة، إذ نجد أفراداً قلائل في كل لهجة يحكون تلك الآفاظ القيمة التي لم تعد تستعمل على المستوى العام بالنسبة للناطقين باللهجة نفسها، حتى إذا نطقوا بمثل هذه الأفاظ النادرة بدت وكأنها غير مألوفة للأجيال اللاحقة من اللهجة نفسها.

ومن هؤلاء الذين روى عنهم أبو زيد وذكر أسماءهم: العكلي، وأعرابي يقال له العلاء، والحرمازي، وأبو العاصرية التميري، وأبو حرز، وأبو الصقر، والغاضري، أبو الحاج، وأبو الضبيب وابنه، وأبو سحيم، وأبو السياح، وأبو السمح، والصفيل، وأبو المضاء، وأبو قرة<sup>(٤)</sup>.

ولم يسر مؤلفو كتب النُّوادر في جمعهم اللغة على نظرية وحدة اللغة، فلم يخلطوا بين مستويات الأداء اللُّغوِي واللهجي دون تفرقه بين ما يُنْسَب إلى لهجة من اللهجات القبلية من الأفاظ النادرة وبين ما ينتمي إلى اللغة الفصحى، فلم يعتبروا الكل لغة واحدة محددة الخصائص متحدة المستوى.

(١) أبو زيد: النُّوادر في اللغة، ص ٢٠٢، ٢٠٣. انظر: الراجحي: عبد، اللهجات الغريبة في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦ م، ص ٥٦.

(٢) جاء في لسان العرب: (طَوَى الرَّكِيَّةَ طَيًّا: عرّشها بالحجارة والأجر، وكذلك اللِّبْنُ تَطْوِيهُ في البناء). انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: (طوي)، ج ٩، ص ١٦٦.

(٣) أبو مسفل: كتاب النُّوادر، ج ١، ص ١٠٨.

(٤) انظر: أبو زيد: النُّوادر في اللغة، ص ٧٠.

وتعتَّد كتب النواود مصدراً مهماً في بناء معجم تاريخي للغة العربية نفقده اليوم، وتشكل الألفاظ اللغوية فيها مادة مهمة للمعاجم اللغوية، كالصحيح للجوهري، والمخصص لابن سيده، ولسان العرب لابن منظور، وغيرها؛ لذلك أزدحمت صفحات هذه المعاجم بأسماء مؤلفي كتب النواود وروایاتهم، وتولف النقول عنهم مادة خصبة في هذه المعاجم، ومن الأمور التي عابها الفيروزابادي على الجوهرى عدم التفاته إلى الغريب النادر من كلام العرب في صحاحه<sup>(١)</sup>.

#### ٥. معايير الندرة عند علماء العربية القدماء

تبين وجهات النظر عند علماء اللغة واختلفت معاييرهم في تقيير فصاحة الألفاظ أو غرابتها وندرتها، فقد كان الأصمسي يقول أفسح اللغات، ويلغى ما سواها. وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحداً، فيجيز كل شيء، وهذا الرأيان، رأي الأصمسي ورأي أبي زيد يمثلان الطرفين المتباينين في مذهبين مختلفين في قضية النواود في اللغة<sup>(٢)</sup>.

فالأصمسي يوظف (مبدأ تقيية اللغة) في معاجلاته اللغوية، بينما ينظر أبو زيد إلى الأنماط اللغوية الفصيحة والشاذة نظرة واحدة، وأبو زيد بطريقته هذه يتوافق مع المناهج الحديثة في دراسة اللغة<sup>(٣)</sup>، فما دام إثناء اللغة قد نطقوا بهذه الأنماط التي عُدَّت أنماطاً نادرة، فليس هناك ما يوجب استثناءها.

ولعل الأمر بحاجة إلى نظرية موضوعية دقيقة في دراسة الأنماط النادرة، فإذا كانت هذه الأنماط أداءات استعملية غير معروفة لقبائل عربية ثانية، فلا يصح أن نجعل من عدم إحاطة علماء اللغة بهذه الأنماط معياراً يسمِّيها بالندرة، بل إن المنهج السليم يقتضي إلهاق هذه الأنماط المنتسبة إلى تلك البيانات اللغوية بالفصيح الجيد حال وقوف علماء اللغة عليها.

وإذا كانت هذه الأنماط النادرة ألفاظاً مهجورة فإن احتفاظ علماء اللغة بها كأنه إرهاص بإحيائها، فالاستعمال في العربية على نوعين: مهجور قد يستعمل، ومستعمل قد يُهجر، وفي هذا كانت المزية للغة العربية؛ إذ لا تحفظ سائر اللغات إلا النوع الثاني، وهو مُهند بالهجران، فإذا أ米ت بالهجر لم يكن في طبائعها ما تتعرض به المهجور الجديد بمهجور قديم، فتضطر إلى الاستجداء من لغات أخرى<sup>(٤)</sup>.

ومسألة الصواب والخطأ والشيوخ والندرة والفصيح والشاذ في ميدان اللغة مسألة نسبية، فالنادر نادر بالنسبة إلى ظروف معينة تمرُّ بها اللغة اجتماعياً وتاريخياً، وبالنسبة إلى النموذج الذي يقاس عليه، ومستوى هذا النموذج سواء أكان من اللغة الأدبية أو غيرها بالنسبة إلى مستوى اللغة ذاتها فصحيًّا أكانت أم عامية، وهذا تتحكم (النسبية) في المشكلة التي شغلت جانباً كبيراً من مناقشات العلماء والأباء خلال قرون.

(١) انظر: الفيروزابادي: *القاموس المحيط*, ج ١، ص ١٧.

(٢) انظر: أبو مسحل: *كتاب النواود*, ج ١، ص ٢٢.

(٣) ليس هناك لغة ربيبة وأخرى جيدة، ذلك أن علم اللغة الحديث يقول: لا سلطة علينا إلا للناس، وما ي قوله الناس هو الصحيح، واللغة الفصيحة هي التي تقوم بوظيفتها على أكمل وجه إنْ في الفهم والإفهام، أو في التعبير عن دوافع الناس بيسر وبدون إجهاد. انظر: فريحة: أليس، نحو عربية ميسرة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥م، ص ٧٥ – ٧٨.

(٤) انظر: الصالح، صبحي: *دراسات في فقه اللغة*, ط ١٦، دار العلم للملائين، بيروت، ٤٢٠٠٤م، ص ٢٩٣.

## ٦. نظريات تفسير ظاهرة التوادر في اللغة العربية

تتفاوت نظرات علماء اللغة في المعايير التي يحتمل إليها في توصيف الأنماط النادرة وتمييزها، فما كان من هذه الأنماط نادراً عند عالم من علماء اللغة قد لا يكون كذلك عند غيره، وعلى هذا فقد اختلفت النظريات التي تفسر هذه الظاهرة وفقاً لاختلاف العلماء في توصيفها.

فهناك نظرية في تفسير التوادر ترى أنَّ اللُّفْظُ التَّوَادِرُ هو اللُّفْظُ الْمُخَالِفُ لِلْقِيَاسِ، والخارج عليه. وهي نظرية صحيحة ثابتة إلى حد ما، توكلها الأمثلة الكثيرة المبثوثة في كتب اللغة، ففي توادر أبي زيد أمثلة كثيرة على مخالفه القياس مما يخرج اللُّفْظَةَ من الفصيح، ويدخلها في التوادر من ذلك ما أورده أبو زيد في شعر سلمان بن ربيعة الضبي أو سلمى:

زَعَمْتُ تَمَاضِرُ لَنْتَيْ إِمَّا أَمْتُ يَسْتَدِيْأُتُنْهَا الْأَصْنَاعُ خَلَّتِي

حيث صَفَرَ (الأنباء) على (أَبْيَتِينِ) على غير قياس<sup>(١)</sup>.

وممَّا جاء خارجاً على القياس في (إصلاح المنطق) قول ابن السكيت: "ما كان على (فعل يُفعَل)، فإنَّ مصدره إذا جاء على (مفعَل) مفتوح العين، وكذلك الموضع مفتوح، نحو قوله: (يَذْخُلُ يَذْخُلُ مَذْخَلًا، وهذا مَذْخَلُه)... إلا أَعْرَفَا جاعت توادر بكسر العين، وهي: (مُفْرَقُ الرَّأْسِ)، وكان القياس: (مُفْرَق...)، فإنَّ هذه جاعت على غير القياس<sup>(٢)</sup>. ولكن هذه النظرية -على الرغم من ذلك- لا تحل مشكلة التوادر، ولا تعالجها تعليلًا تاماً؛ إذ توجد ألفاظ كثيرة جاعت مخالفة للقياس، وهي مع ذلك فصيحة مشهورة، لا تعد من التوادر في حال من الأحوال<sup>(٣)</sup>. وقد جاء في المزهري: أنَّ ما خالف القياس وكثير استعماله، فإنه فصيح مثل (استحود)، ومخالفه القياس مع قلة الاستعمال مجموعهما هو المُخْلُلُ بالفصاحة<sup>(٤)</sup>.

ومقرر في أصول علماء اللغة أنَّ الشُّذوذ لا ينافي الفصاحة، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ هذا الشُّذوذ الذي بُنيت عليه ظاهرة التوادر قد أُقيم على أساس معياري، فهو شذوذ قاعدة لا شذوذ لغة، ولو كان استقراء علماء اللغة للأنماط اللُّغَوِيَّةِ استقراءً تاماً أو شبه تام دون استثناء ببيانات لُغَوِيَّة كاملة لكانَت هذه الأنماط التي عُدَّت نادرة وفقاً لخروجها على قواعد علماء اللغة - أنماطاً فصيحة جيدة، ذلك أنَّ ظاهرة التأليف في التوادر ما هي إلا استكمال للجوانب التي فانتَ علماء اللغة - وقد جاء هذا العمل بعد أن وضعوا القواعد - فلما نظر إلى هذه الأنماط الجديدة التي استثنىَت في أثناء وضع القواعد حُكم عليها بالشُّذوذ والتدرة، وكان الأجرد أن يعاد النظر في هذه القواعد التي بُنيَت على الاستقراء الناقص لأنَّ توصف تلك الأنماط الجديدة بأنَّها نادرة أو شاذة، وعلى هذا فإنَّ مُصنِّفَ الْتَوَادِرِ وجد ليخرج علماء اللغة من حرج أصحابهم نتيجة استثنائهم لبيانات لُغَوِيَّة انطوت على مثل هذه الأنماط المستخدمة بشكلٍ واسع في تلك البيانات.

وبناءً على ذلك فإنَّ هذا الشُّذوذ الذي وسمَّته به مثل هذه الأنماط يُعد شذوذًا في القاعدة لا شذوذًا في اللغة والاستعمال، ولا يصح أن يوصف أي نمط من الأنماط اللُّغَوِيَّة بالتدبر إلا إذا كان شاذًا عن اللغة والاستعمال لا شاذًا عن القاعدة.

(١) انظر: أبو زيد: *التوادر في اللغة*، ص ٣٧٤، ٣٧٥.

(٢) ابن السكيت: *إصلاح المنطق*، ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٣) انظر: أبو مسحيل: *كتاب التوادر*، ج ١، ص ٢٠.

(٤) انظر: السُّيوطي: *المزهري*، ج ١، ص ١٨٨.

والنظيرية الثانية في تفسير ظاهرة النواود ترى أن أي تغيير في أصول الكلمة من قلب أو إبدال أو غيره مما يخرج الكلمة من دائرة الفصيح إلى دائرة النادر، ومن أمثلة ذلك قولهم: (لهنك)، وتلويتها (لأنك)، فأبدل الهاء من الهمزة؛ لأنها تقرب منها في المخرج، كما قالوا: (رقت وهرفت)<sup>(١)</sup>، ومن أمثلته في نواود أبي مسحناً قولهم: شَغَرْ أَصِيلْ، وَأَثِيلْ، وَأَصِيرْ، وَأَثِيتْ، وَكَثِيفْ بمعنى: كثير<sup>(٢)</sup>. ومن أمثلة القلب كما جاء في نواود أبي مسحناً: اعتقاده واعتقاده الأمر، واعتماده واعتماده، وذلك إذا لجف به<sup>(٣)</sup>، وأمثلة الإبدال والقلب التي وردت في كتب النواود كثيرة متعددة.

وهذه الأمثلة لا تُعد من الأنماط النادرة في اللغة العربية ما دام الوقوف ممكناً على تلك القوانين الصوتية والصرفية التي تحكم التغير الذي يصيبها، وحتى لو لم يتم الوقوف على تلك القوانين التي تحكم التغير الذي يصيب أصل الكلمة، وثبت أن هنالك بينة لغووية بأكملها تتطرق بمثل هذه الأنماط كان ذلك سبباً كافياً لإخراجها من دائرة النادر، وعداها من قبيل الفصيح الجيد.

وهناك نظرية ثالثة في تفسير ظاهرة النواود ترى أنه قد تأتي ندرة الألفاظ نتيجة لكونها فارسية معربة دخلة على لغة العرب مما تجدها نفعهم، وتجهوا أنواعهم، فالكلمات الأغنية تدخل في النواود، وسنجد كتب النواود تضم الألفاظ الأغنية على أنها من النواود وشرحها<sup>(٤)</sup>.

ولعل تلك الألفاظ الأغنية التي وردت في كتب النواود وكذلك كتب الفصيح<sup>(٥)</sup>، إنما ترد عرضًا دون قصد من علماء اللغة إلى وضعها في دائرة الفصيح أو النادر، بل إنهم لم ينصوا بشكل صريح على ندرتها، والاقتراب من اللغوبي بين اللغات أمر واقع لا تكاد تخلو منه لغة من لغات العالم.

وليس هناك وجه لجعل مثل هذه الكلمات الوافية من قبيل النادر، إذ الأقرب إلى المنهج السليم في دراسة اللغة العربية أن يقتصر في دراسة ظاهرة النواود، وظاهرة الغريب، وظاهرة الشذوذ على الأنماط العربية الصميمية، ويجب لا تدرج الألفاظ الأغنية ضمن هذه الظواهر حتى لا تغيب عن الملامح الدقيقة للدرس اللغوي العربي.

ولكن قد يكون للكلمات الأغنية دور في وضع الألفاظ الغربية الصميمية في دائرة النادر، فقد يتغلب الدخيل على الصميم من كلام العرب، وما ذلك إلا لما أودع صدر الأعمى من الخفة والرشاقة والشبه لفصيح الكلام العربي ومادته وزنته، فهذه الأمور تخولها قوة ومناعة، وتكتسبها جمالاً، وتلبسها ثياباً عربية، فتصبح محارلة قتلها من المحال؛ لأن وراءها دولة أعممية قوية هي دولة الاستعمال كل يوم، ومن أمثلة الأعمميات المعروفة أو المشهورة والعربيات المجهولة أو النادرات التي تقابلها: (المجنق) وتنقلها في العربية: (الخطار)، و(الأمس) وتنقلها: (السامور)، (الأستاذ) وتنقلها: (المخرج)، و(الجوزب) وتنقلها: (مسنطة)، و(الفيل) وتنقلها: (الشمندل)....<sup>(٦)</sup>

(١) انظر: أبو زيد: النواود في اللغة، ص ٢٠٢.

(٢) أبو مسحناً: كتاب النواود، ج ١، ص ٢٠.

(٣) أبو مسحناً: كتاب النواود، ج ١، ص ١٩٨.

(٤) أبو زيد: النواود في اللغة، ص ٥٢، ١٧٠. انظر: أبو مسحناً: كتاب النواود، ج ١، ص ٧٢، ١٢٦.

(٥) انظر: ابن المكتبي: إصلاح المنطق ص ١٥، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٥، ١٧٦.

(٦) انظر: الكيرملي: الأب أنساس ماري، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٨٨ - ٩٨.

وهناك نظرية رابعة في تفسير ظاهرة النوادر ترى أنَّ الأنماط النادرة ما هي إلا كلام مَنْ بعُدَتْ به الدار، وأنَّى به محلَّ من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها، وإنما هي من كلام القوم وبيانهم، أي أنها كلامهم العادي في لغاتهم<sup>(١)</sup>.

ولعل هذه النظرية تفسر جانباً من جوانب ظاهرة النوادر، فما عَدَ من الأنماط نادراً ما هو في حقيقة الأمر إلا استعمال شائع لبيئة لغوية بينها، شاعت ظروف المنهج في دراسة اللغة في ذلك الزمان السحيق استئنافها من حيز الترَّس فلما رجع إليها فيما بعد – على يد علماء اللغة الذين عنوا بتوسيع دائرة الاستقراء – نظر إليها على أنها استعمالات خاصة نادرة، وهذا أمر ينافي المنهج السليم في دراسة اللغة، وما عَدَ من الأنماط نادراً وفق هذه النظرة يجب إخراجها من دائرة النادر، وعده في الفصيح.

وهناك نظرية خامسة ترى أنَّ الفرق بين اللحظة الفصيحة والنادرة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعريبيتهم للفصيحة كثيراً. يقول السيوطي: "إن مدار الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العرب لها"<sup>(٢)</sup>. فالندرة قلة الاستعمال، وكلما كثر استعمال اللحظة، وعرفها جمهور أكبر من العرب، وشاعت على لسانهم كانت أجود وأفضل. وعلى العكس من ذلك فكلما قلَّ استعمال اللحظة، وعرفها ناس من العرب قليلاً كانوا نادرة مجحولة، وعلى هذا فكثرة الاستعمال أو قوله هو المعيار الصحيح الثابت الذي به يمكن لنا أن نحكم أن هذا اللفظ فصيح معروف، وأن ذلك اللفظ نادر مجهول.<sup>(٣)</sup>

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في كتاب النوادر لأبي مسحل: "يقال: إن فلاناً لذو شرفه، وما أعظم شرفه. يعني: شرفه"<sup>(٤)</sup>. فلفظة (شرف) قليلة الاستعمال، ولم تشتهر اشتهر لفظة (الشرف)، إذ لم تكن على السنّة الجمّهور، فكانت من النوادر.

وفيه أيضاً: "هذه أرض منصورة ومغلوطة ومتغيرة. ولغة هذيل مغاثة؛ لأنهم يقولون: أغاثها المطر". وغيرهم من العرب يقول: قد غيثت، فهي مغاثة ومغلوطة، وهو أكثر<sup>(٥)</sup>. فـ(مغاثة) لهجة خاصة بقبيلة هذيل، وكلام الجمّهور من العرب غير ذلك، ومع ذلك لا يعد النمط المستعمل في قبيلة هذيل نادراً ذلك أن قبيلة هذيل تمثل بيئات لغوية مستقلة لها ملامحها الخاصة.

وقد وردت لفظة (النادر) كثيراً في كتاب إصلاح المنطق، وهي في كل ذلك جاءت بمعنى القلة، إذ يورد ابن السكري بناء من أبنية اللغة العربية، وينص على أن الأمثلة التي جاءت على هذا البناء نادرة أي قليلة<sup>(٦)</sup>، فالندرة هنا ليست نسبية، وإنما هي ندرة ذاتية تشمل كل البيئات اللغوية المتعددة في اللغة العربية، فمثل هذه الأنماط فصيحة شاعت اللغة العربية في بيئاتها المتعددة أن تقصر على عدد قليل منها، وجاءت لفظة (النوادر) في إصلاح المنطق أيضاً بمعنى (الغواص)، إذ يعدد صاحب الكتاب باباً يسميه (نوادر)، ويورد تحته أنماطاً لغوية فصيحة<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: الهداني، عبد الرحمن بن عيسى (ت: ٣٢٧هـ): كتاب الألفاظ، تحقيق: البدراوي زهران، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٧٨.

(٢) السيوطي: المزهر، ج ١، ص ١٨٥.

(٣) انظر: أبو مسحل: كتاب النوادر، ج ١، ص ٢١.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩٨.

(٥) المصر السالق، ج ١، ص ٣٦٩.

(٦) ابن السكري: إصلاح المنطق، ص ٢٢١.

(٧) ابن السكري: إصلاح المنطق، ص ٢٨١.

## ٧. الألفاظ النادرة بين الهجران وإعادة الاستعمال

لعل أبرز العوامل في اشتغال اللغة العربية على هذا التراء العظيم من الألفاظ هو أن النادر والمهجور، والغريب في الاستعمال من ألفاظها كتب له البقاء، فإلى جانب الكلمات المستعملة كان مدونو المعجمات يسجّلون الكلمات النادرة المهجورة، فالمجمع سجل لكلمات اللغة ومعانيها، وهذه الكلمات ساكنة صامتة بالفعل، ولكنها صالحة بالقوة لأن تصير ألفاظاً مسموعة أو خطوطاً مكتوبة مفروعة في سياق كلام<sup>(١)</sup>، حتى تلك الكلمات التي وضعت في دائرة النادر أو المهجور أو الغريب أو وسمت بأنها بائدة، وهذا المعنى الاستثنائي من الأنماط التي أخرجت من الفصيح الجيد صالحة لأن توضع في حالة استعمال وحركة وديناميكيّة فيُشاع استعمالها، وهذا ما تحاول المجاميع اللغوية القيام به، فتقوم بنشر الألفاظ النادرة والمُعَانَة والهامة.

وما كان نادراً من الألفاظ هو في حقيقة الأمر لهجة لقبيلة خاصة لم ينظر إلى ألفاظها اللغوية إلا متاخرأ، وعد للناظ نادراً ليس كافياً لإماتته؛ لأن من الممكن إزالة قلة الاستعمال عنه وإياعته، فاحتفاظ علماء اللغة بالألفاظ النادرة كأنه إرهاص لإشاعة استعماله من جديد.

ولا ترتبط ظاهرة النادر بالنصوص الجاهلية القديمة فحسب، فأنت تستطيع أن تقرأ رجز روبة والعجاج وذى الرمة، وأن تقرأ الأرجوزة التي تألف من المائة وتزيد عليها دون أن تفهم منها إلا قليلاً حتى تضطر إلى الاستعانة بالمعاجم لكثرة النادر والغريب، ومع ذلك فقد كان روبة والعجاج وذى الرمة يعيشون في العصر الأموي، وتتأخر بهم هذا العصر حتى أدرك بعضهم أيامبني العباس، وكان يونس بن حبيب يأخذ الرجز واللغة والنادر والغريب عن روبة، ولن تجد في الشعر الجاهلي قصيدة تقرب في الشدة والصلابة من رجز هؤلاء الرجال، وليس من شك في أن هؤلاء الرجال كانوا يتتكلّفون النادر الغريب تكفاً، ويختارون الألفاظ اختراعاً<sup>(٢)</sup>.

وهناك كلمات نادرة في العربية الفصحى مشهورة في النبطية<sup>(٣)</sup>، فالشعر النبطي لا يزال يحتفظ بشروء لغوية من العصور الأولى، وعلى الدارس اللغوي كي يؤصل هذه الثروة اللغوية أن يكشف عما لحق الأصوات والصيغ والتراكيب والمعاني من بعض ظواهر التطور، وهذه الأنماط اللغوية المستعملة في الشعر النبطي والهجات الدارجة ما هي إلا امتداد للهجات عربية فصيحة قديمة.

ومن هذه الكلمات المستعملة في الشعر النبطي ولها ورود في معاجم اللغة القديمة، وتحمل المعنى نفسه : (الشغوم) : جمع شغاميم، وفي معجمات اللغة الشغموم: الطويل الملبح، و(الغطاريف) : جمع غطريف وغطراف، وهو في الفصحى وفي الشعر النبطي: السيد أو الشاب الكريم، و(المتلاع) : الطويل العنق...، وغيرها كثير<sup>(٤)</sup>.

ومن الكلمات التي عدها السيوطي من نواود الأسماء كلمة (الشواية) ومعناها: الشيء الصغير من الكبير كالقطعة من الشاة<sup>(٥)</sup>، ويشيع استعمال هذه الكلمة الآن في اللهجات الدارجة في جنوب الأردن، فيقولون: (الشواة).

(١) انظر: حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٤٠.

(٢) انظر: حسين، طه: في الأدب الجاهلي، ط١٨، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٥٨ - ٢٦٢.

(٣) الأنبياط: شعب سامي، كانت له دولة في شمال شبه الجزيرة العربية، وعاصمتهم: سلْع، وتعرف لل يوم بـ(البتراء)، وقد حدث تطور دلالي لهذه الكلمة، فأصبحت تطلق على المشتغلين بالزراعة، واستعملت أيضاً في اختلاط الناس من غير العرب. (انظر: المعجم الوسيط، مادة: (نبط)، ج ٢، ص ٨٩٨)، وأخيراً أطلقت كلمة (النبطي) في اللهجات الدارجة على الشعر العامي الذي يقال على ألسنة البدو في أيامنا هذه.

(٤) انظر: مطر: عبد العزيز، تلقيف اللسان العربي (بحوث لغوية)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٢٨ - ١٣٠.

(٥) السيوطي: المزهر، ج ١، ص ٢٣٧.

ومن الأنماط اللغوية التي عذّها السيوطي أيضاً في النادر، ولها حضور في اللهجات الدارجة في الأردن قولهم: ( جاء فلان توا ) إذا جاء قاصداً لا يُعرّجه شيء، فإن أقام ببعض الطريق فليس بتوا<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فإن ظاهرة التوا در لا ترتبط بمكان معين أو بعصر معين، وقد لا ترتبط ببيئة لغوية كاملة، وإنما تكون استعمالات خاصة تصدر عن أفراد معينين، كما هو الشأن في رؤبة الذي كان يرتجل الكلام ارتجالاً.

#### ٨. ظاهرة التوا در والذوق الفني

تغيرت نظرية علماء اللغة إلى ظاهرة التوا در من حيث الشعور بالجمال والذوق الفني من عصر إلى آخر، ففي القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري كان يُعد من نفس المتع الاستماع إلى الأعراب الفصحاء وما يصدر عنهم من أنماط لغوية تحفل بالنادر والشاذ، والغريب، أمّا في أواخر القرن الثالث، فيقرر ابن سام (٣٠٢هـ) في أبيات يمتحن بها النحو أنه كثيراً ما سمع من الأعراب الألفاظ مستكرّة قبيحة<sup>(٢)</sup>.

ولعل من أسباب التغيير لدى العلماء في ذلك القرن تغير غرضهم وهدفهم من استماعهم للأعراب، إذ لم يعد المجتمع اللغوي في العصر العباسي يستسغ تلك الألفاظ النادر والغربيّة، وذلك لت نوع هذا المجتمع، واحتياجه إلى الألفاظ السهلة المأنيّة في الحياة اليومية، وفي مجالس الأدب والعلم، وفي مجالس الطرف والغناء.

ومن المعایيب التي يطعن بها الصاحب بن عباد في المتنبي أنه يحرص على تعاطي التناصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة النادر، حتى كأنه ولد خباء، أو غذى باللين، ولم يطأ الحضر، ولم يعرف المدر.

ومع ذلك لم يكن من رأي ابن عباد أن شاعراً أياً كان يستطيع أن يبرز في الشعر دون إحاطة بغيرب اللغة ونادرها، فقد ذكر في موقفه هذا على أحد الشعراء أن يتجرأ على قول الشعر، وهو يجهل كثيراً من الغريب النادر، ثم سرد عليه – سائلاً – طائفة كبيرة من الكلمات للنادر المهجورة من لغة الأعراب كان الصاحب بن عباد المعذ بنفسه يفخر لإحاطته بمعرفتها، فسألَه عن (الهيلع) وهو اللبن الخاثر الشخين، و(الجلّاع) وهو القتفذ وقيل الجعل، و(القَهْقَب) وهو الصخم المسن أو الطويل الرغيب، و(القرْمُوط) وهي ثمرة الغضى، و(اللّوس) وهو الرجل الذوق، وغيرها من الكلمات الغريبة النادر في الاستعمال<sup>(٣)</sup>.

ولكن على حين يرى ابن عباد أن معرفة غريب اللغة ونادرها أمر لا مناص منه يرى أبو حيان التوحيدي أن لا أحد يهتم بمثل هذه الأنماط النادر الغريبة غير ابن فارس أستاذ ابن العميد، وأن الشاعر لا يصنع بمثل هذه الألفاظ شيئاً. وماذا بين الشاعر وهذا الضرب من الألفاظ؟ الشاعر يطلب لفظاً حرّاً، ومعنى بديعاً ونظمأً طرأ، وكلمة رشيقه ومثلاً سهلاً وزنة مقبولاً، فالسهولة والرشاقة والصدق والانتقاء هي المطالب التي تتلوخ في الأسلوب البلبل، وهذه الأمور تعدّ معايير في النثر كما في الشعر أي في جميع النتاج اللغوي الفني<sup>(٤)</sup>.

#### نتائج البحث

انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج البحثية منها ما يأتي:

(١) المصدر نفسه ج ١، ص ٢٣٧.

(٢) انظر: ابن رشيق، أبو الحسن القررواني (ت: ٤٦٣هـ): العدة في محسن الشعر وأدابه ونقده، القاهرة، ١٩٢٥م، ج ٢، ص ٢٠٦.

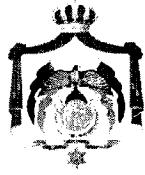
(٣) انظر: الحموي: ياقوت (ت: ٦٢٦هـ)، إرشاد الأريب إلى معرفة الأكبّ، نشر مرجلوث، ١٩٢٦م، ج ٢، ص ٣٠١.

(٤) انظر: فك، يوسف: الغريبة دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: عبد الحليم النجار، الدار المصرية السعودية، القاهرة،

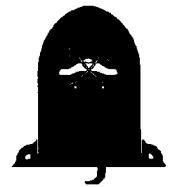
٢٠٠٦م، ص ١٧٧ - ١٨٠.

١. إن مُصطلح (النَّادِر) قريباً في الاستعمال من (الخُوشِي، أو الْوَحْشِي)، و(الغَرَابِي)، و(الشَّوَادِي)، و(الْفَقِيمِي، أو العَقِيمِي)، و(النَّادِر) إلا أنَّ (النَّادِر) بمعناه العام يشملُ هذه المُصطلحات جميعاً، على الرَّغم من أنه معناه الخاص أقرب هذه الألفاظ من الفصيح.
٢. كثرة التأليف في النواير، حتى إننا لا نجد لغويَاً في ذلك العصر المبكر، إلا وله في النواير كتاب أو أكثر.
٣. إنَّ الناظر في كتب النواير يجد أنَّ الألفاظ النادرة الواردة فيها ما هي إلا أنماط استعمالية للهجات قبائل متعددة، وقد تكون هذه القبائل من القبائل المشهورة التي أخذت عنها اللغة نحو: تميم، وأسد، وكلاب، وعقيل، وقيس، وهنيل، وطبيء... الخ.
٤. يغلب على الألفاظ النادرة أن تكون استعمالات خاصة تصدر عن أفراد لهم ولوع بالألفاظ القديمة التي كانت تصدر عن الأجيال السابقة.
٥. إنَّ الشذوذ الذي بنيت عليه ظاهرة النواير قد أقيم على أساس معياري فهو شذوذ قاعدة لا شذوذ لغة، ولو كان استقراء علماء اللغة لأنماط اللغوئية استقراء تماماً أو شبه تمام دون استثناء ببنات لغوئية كاملة وكانت هذه الأنماط التي عذت ندرة وفقاً لخروجها على قواعد علماء اللغة – أنماطاً فصيحة جيدة.
٦. إنَّ الأقرب إلى المنهج السليم في دراسة اللغة العربية أن يقتصر في دراسة ظاهرة النواير، وظاهرة الغريب، وظاهرة الشذوذ على الألفاظ العربية الصميمية، ويجب أن تدرج الألفاظ الأغيمية ضمن هذه الظواهر حتى لا تغيب عن الملامح الدقيقة للدرس اللغوي العربي.
٧. إنَّ ظاهرة النواير لا ترتبط بمكان معين أو يحصر بعينه، وقد لا ترتبط ببنية لغوئية كاملة، وإنما تكون استعمالات خاصة تصدر عن أفراد معينين، كما هو الشأن في روبة الذي كان يرتجل الكلام ارجلاً.





Ministry of Higher Education  
and Scientific Research



Mu'tah University

Jordanian Journal of  
**ARABIC**  
An International Refereed Research Journal

LANGUAGE  
&  
LITERATURE

Vol. (6), No. (1), Muharram 1431H (January 2010)

S. No

18

ISSN 1026-3721